## + قداس الفصح المقدس

صباح الأحد ٣٠ نيسان ٢٠٠٠ ترأس سيادة متروبوليت بيروت وتوابعها المطران الياس عودة خدمة الهجمة وقداس الفصح المقدس في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية بحضور حشود كبيرة من المؤمنين. وبعد الإنجيل المقدس ألقى العظة التالية:

المسيح قام. حقاً قام، فلنسجد لقيامته ذات الثلاثة الأيام. المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

يا أحبة، بقيامة المسيح أُهّل كل إنسان أن يصبح مسيحاً بالكليّة لأن الإنسان الذي غُطِّس في مياه المعمودية مُسح بالميرون المقدس وصار مع المسيح، في المسيح، وراء المسيح، هدفه أن يكتمل في المسيح، لأن الإنسان مدعو أن يصبح إنساناً كاملاً، والإنسان الكامل هو المسيح لأن المسيح هو ابن الله الذي صار إنساناً لكي يكون الصورة والقدوة والمثال الكامل للإنسان في عودته إلى الرب، لكي يتأله الإنسان وليستعيد مجده، ليصبح عظيماً لا بمقاييس هذه الدنيا بل بحسب المقاييس الإلهية.

قيامة السيّد هي بدء نظام إنساني جديد. قيامة المسيح هي ثورة حقيقية على كل فساد إنساني بكل أبعاده. بعد أن مات يسوع وطمر الفساد في القبر، تاركاً البشرية الفاسدة والإنسان القديم، يحرّك اليوم كل إنسان بقي فيه شيء من ضمير. كل إنسان يقرأ المسيح ويتعلّم منه يعرف أن هذا الرب كان معلّماً للإنسان في تحوّله، في تغيّره من أجل أن يصبح مولوداً جديداً. قيامة السيّد مدخل لنظام عالمي جديد وفجر خليقة جديدة وبدء ترتيب أخروي للجنس البشري. بقيامته انتصر يسوع على كل القوى الشريرة، على كل قوة لا تجانس مقصد الرب وإرادته، لا تتلاءم مع إرادة الرب ومشيئته. الرب داس بموته كل ما لا يمت إلى الألوهية بصلة. قُبر القديم الذي كان ملتصقاً بنا، الحاصل بسبب تمرّدنا على الله وعبادتنا الأنا التي جُعلت في حجارة وتماثيل، في مقتنيات وعلم كبير. وكل هذه تزول ويبقى الله. الله داس على كل القوى التي جعلت الإنسان منذ آدم حتى الآن عبداً.

الخطيئة بمظاهرها المختلفة، الجميلة منها والبشعة لأن الخطيئة تتلوّن كالشيطان بثياب النور هي عدو الإنسان الأول وهي سبب عدوه الثاني: الموت الذي يرتجف منه كل إنسان إلاّ إذا ارتقى إلى مستوى حضن الله. من لا يخاف الموت هو إنسان أصبح قائلاً لست أنا أحيا بل المسيح يحيا فيَّ (غلاطية ٢:٢٠). الموت هو العدو الأكبر الذي إذا طرق باب إنسان جعله يرتجف ويتقوقع ويصبح صغيراً. أما عدو الإنسان الثالث فهو القانون، الناموس، لأن الناموس وُضع للخطأة. الإنسان الآدمي لا يحتاج إلى قانون. الناموس إذاً سيف مسلّط على رقاب المجرمين في أعمالهم، الرافضين الانصياع للخير.

بقيامته من القبر منتصراً تغلّب الرب على تلك القوى التي سادت الطبيعة منذ سقوط آدم: الخطيئة والموت والناموس. إذا كنتَ في المسيح إفعل ما تشاء لأنك لا تستطيع أن تفعل إلا الخير، إلا ما هو مسيحي، ما هو إلهي. لذلك أنت لست محتاجاً الناموس. قديماً قضى الناموس بالختان. يسوع جعل الختان الجسدي ختاناً قلبياً لأن من يقطع قطعة من جسده لا يصبح بالضرورة «آدمياً». قد يشعر بانتماء ما، لكن الانتماء لا يعني الأمانة. بموته ختن الرب كل زائد مفسدِ للجسد الذي أُعطي لنا. «في المسيح كان ختانكم لا بالأيدي بل بنزع جسم الخطايا البشري، وهذا هو ختان المسيح. فأنتم عندما تعمّدتم بالمسيح دُفنتم معه وقمتم معه أيضاً، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الأموات. كنتم أمواتاً بخطاياكم وبكونكم غير مختونين في الجسد فأحياكم الله مع المسيح وصفح لنا عن جميع خطايانا، ومحا الصك الذي علينا للفرائض وكان في غير صالحنا، وأزاله مسمّراً إياه على الصليب». (كولوسي ٢: ١١-١٥).

الإنسان المؤمن إنسان مضيء لأنه لا يعرف اليأس. من سمات المسيحي الحقيقي أنه يشع نوراً لأن قلبه لا يعرف الظلمة. المؤمن الحقيقي يطرد الظلمة من قلبه لأنه يؤمن بالقيامة. إذا قام يسوع فأنا المؤمن به حتماً قائم. أنا قادرٌ به أن أتغلّب على كل صعوبة، على كل ظلام، على كل ما يزعج الكيان. المسيحي الحقيقي وجوده جميل، طيب، منير، إذا ذهب يترك فراغاً وإذا حضر حلّ في المكان نورٌ لأنه إذا أحس ألماً أو لمس جرحاً أو سمع أنّات يحملها كلها في كيانه ويحوّلها بالمسيح إلى خبرة تؤدّب وتنمّي.

المؤمنون بيسوع هم بكر القائمين من رقاد الموت. المؤمنون بيسوع القائم من الموت يتذوّقون السماء وهم على الأرض. الإنسان المؤمن بيسوع رأسه في السماء كما قلبه، ورجلاه في تماس مع الأرض وكأنه في انتظار التحليق إلى ملكوت السموات: «ستجيء ساعة، بل جاءت الآن، يسمع فيها الأموات صوت ابن الله وكل من يصغي إليه يحيا» (يو ٥:٢٨).

من يعرف يسوع يكون معه في شركة وتواصل لأن يسوع، بلفتة بسيطة من الإنسان أو انحناءة، يحتضن الإنسان احتضاناً كلياً ويحوّله فيتذوّق هذا الإنسان الملكوت وهو على الأرض. إذا كنا لا نحيا الملكوت فيما نصلّي فصلاتنا شفوية، وإذا كانت صلاتنا قلبية يفهمها كل من يصلّي. الله يسكن القلب: «يا ابني أعطني قلبك». ومن يسكنه الله صار إلهياً، ملكوتياً، سماوياً.

«سنقوم في اليوم الأخير» هكذا قالت مرتا عندما هرعت، بعد موت أخيها، إلى يسوع وقد أنتن أخوها في القبر. هرعت إلى يسوع الذي قال لها «أخوك سيقوم». قالت «نعم يا رب أعلم انه سيقوم في اليوم الأخير». قال لها يسوع: «أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي يحيا وإن مات، وكل من يحيا مؤمناً بي لا يموت أبداً» (يوحنا ١١: ٢٥-٢٦). إذاً «أنتم الذين

بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم». أنا المعمّد أحيا معموديتي إلى الأبد أي أنمو في المسيح أبدياً. المعمودية موصولة، مستمرة، دائمة، لأن المعمَّد يعي أنه يخصّ يسوع في كل حين. أنتم تخصّون يسوع. تذكروا هذا الأمر، وإذا تذكرتم فأنتم في النمو الصالح. «من آمن بي وإن مات فسيحيا». أنتم، الكنيسة، هي الجماعة القيامية التي تحيا في عالم غريب، عدائي، وترنو إلى اليوم الذي فيه يسود يسوع على كل الخليقة. الإنسان الذي يخجل بيسوع أمام الناس يخجل به يسوع في ملكوته السماوي. إذا أردت أن تكون إنساناً محبّاً لله لن يرتاح إليك معظم الناس. الويل لكم إذا قال فيكم كل الناس قولاً حسناً. من أراد أن يكون للمسيح فليعلم أنه لن يكون محبوباً من كل الناس لأن المسيح يزعج. الكنيسة الحقّة هي المؤلّفة من بشر لا يخافون قول الحق أمام أي إنسان وإذا خافوا أصبحوا من هذا العالم ولا يخصّون يسوع القائل أنتم في العالم ولكنكم لستم من العالم (يوحنا ١٨:١٥).

الكنيسة تصلّي من أجل كل إنسان لكي ينمو ويكبر ولكي يصبح المسيح سيداً على كل قلب. ومن كان يسوع سيّدهم يطيعونه في كل شيء، ومن يحترمون يسوع حقاً ويطيعونه لا يساومون من أجل أي مصلحة أو غرض بل يقولون قول يسوع ويعملون ما يرضيه لأنه قال لنا «أنتم نور العالم»، ونحن نرنو إلى الساعة التي يصبح فيها المسيح الكل في الكل.

أن تكون مسيحياً يعني أن تحيا حياة القيامة كل لحظة من لحظات حياتك بانتظار اليوم الذي فيه يُتم الله العمل الصالح الذي بدأه في شعبه، يعني أن تتخلّى عن كل عادة سيئة وعن كل ما يؤذي ضميرك. إذا كنت قيامياً أي مؤمناً بيسوع القائم من الموت تؤمن أنك بيسوع تقوم على كل سوء فيك، تدوس كل ضعف وخطيئة، تنتصر به على إنسانك القديم. يسوع، بكر القائمين من الموت، أبدل جسده الذي يشبه جسدنا الخاطئ (رومية ٣:٨) بالجسد الروحاني، وهو الذي يبدّل جسدنا الوضيع ويجعله على صورة جسده المجيد، بما له من قدرة يُخضع بها كل شيء (فيليبي ٢١:٣). جسدنا الوضيع ندرك ضعفه عند المرض، لكن المرض يساعد الإنسان على تنقية نفسه، ورغم ضعف جسده يقوى قلبه ويكبر لِيَسَعَ الله. لقد سمح الله أن يموت جسدنا ليبدّله بجسد مجيد، منير، فيه راحة وطمأنينة.

الإنسان العاشق المسيح يسير في طريق المسيح ليصبح مسيحاً. موتنا في المسيح يشبه حبة القمح التي تسقط في الأرض وتموت لتأتي بأثمار كثيرة. لكن ما يعزّي المسيحي أن الموت في المسيح ليس توقفاً عن الوجود بل تحوّل. الجسد الترابي يصبح جسداً ممجداً. نحن نؤمن ان الوجود لا يتوقف وإلاّ لا معنى لصلاتنا من أجل الأحباء الذين ينتقلون عنا. يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل كولوسي: «أميتوا إذاً ما هو أرضي فيكم كالزنى والفسق والهوى والشهوة الرديئة والفجور فهو عبادة الأوثان، وتلك أمور تجلب غضب الله على ابناء المعصية» (٣: ٥-٦). الخطيئة هي جحود. عندما يخطئ الإنسان ينكر وجود الله لأن من

يعرف الله، من يؤمن به ويطيعه يرتجف خوفاً من الخطيئة، ومن يخطئ يفرغ قلبه من الله ويمتلئ بأناه. المؤمن هو من يجاهد ضد الخطيئة والتمرد على الله ورفض وصاياه وأوامره ويتجه نحو المسيح ليكون في المسيح وفي جِدّة الحياة.

الإنسان الجديد «مخلوق بحسب الله في البِر وقداسة الحق» (أفسس ٤:٢٤)، وهو مدعو إلى جعل نفسه «ذبيحة حية مقدسة، مرضية عند الله» (رومية ١٢:١). المسيحي الحقيقي ينقّي نفسه باستمرار، يميت الخطيئة فيه ويحيا لله، يشبه البخور الذي يحترق على الجمر ليتصاعد عبيراً زكي الرائحة، ذبيحة حية مرضية لله. «لا تتشبهوا بهذه الدنيا بل تغيّروا بتجديد عقولكم لتعرفوا مشيئة الله» (رومية ١٢: ١-٢). من أراد أن يرتاح في هذا الدهر لا يدحرج الحجر عن القبر لكي يبقى الله فيه. المرتاح في هذا الدهر أمات اللهَ في نفسه كي لا يشعر بعذاب الضمير بسبب أعماله.

الإنسان يُعمَّد صغيراً ليصبح مسيحاً، لينمو إلى ملء قامة المسيح ويردد مع بولس الرسول لست انا أحيا بل المسيح يحيا فيَّ. من هنا أقول لأبناء بلدي شباباً وشيباً: لا تيأسوا، الله صانع العجائب وحده، وإذا كان الله معنا فمن علينا؟

قد يتساءل البعض هل سيبقى لبنان؟ جوابي نعم إذا كان ادعاؤكم الإيمان صادقاً. إذا كنتم مؤمنين حقاً يبقى لبنان . أمر آخر متصل بهذا الواقع الإيماني هو هجرة الشباب والعائلات. إن معظم هؤلاء لا يؤمنون لذلك يفتشون عن مكان مريح ليعيشوا فيه. أنا اسأل هؤلاء هل يترك أب حقيقي أطفاله؟ هل تهجر أم حقيقية فلذات كبدها؟ ان لبنان بالنسبة لنا بمثابة الابن، ومن يهجره سعياً وراء الراحة في مكان آخر لا يؤمن بيسوع ولا يسعى إلى اختبار القيامة لأن المؤمن الحقيقي يرى القيامة ولو كان رأسه في الجحيم، يرى الحياة ولو كان في الموت. على مثل هذا تبنى الأوطان، على الصادقين المؤمنين المحبّين لا على الديماغوجيين المزيّفين.

لبنان يبنى على مواطن يحب تراب وطنه، على فلاح يؤمن بأرضه. قد يتألم لأسباب شتى لكنه عندما يلمس التراب يعرف التواضع وعلو الله. ومن كان يحسن تقليم الشجرة بحنان وحب، ألا يرتب عائلته والوطن؟ البشر أصبحوا آلات تنقصها الحياة. أصبحوا مواد استهلاك. بعض الناس ارتضوا أن يُستهلكوا. لكن الرب جعل منك أيها الإنسان سيّداً فلماذا تذل نفسك بالعبودية للآخرين؟

إن من يترك وطنه مجرم بحق وطنه. أنا لا أريد أن أرضي أحداً بكلامي. لقد أنعم الرب عليّ أن أكون راعياً في هذا البلد فنِعْمَ العطية والبركة كاملة، وكل ما يعطينا الرب مباركٌ. فإن سمح أن تولد هنا فهو أعلم منك بما يجب أن يكون. كفرة هم أولئك الذين يكفرون بلبنان، أولئك الذين يزعزعون قلوب الناس عندما يذكرون كل البلدان وينسون لبنان، أولئك

الذين يجدون أباً لهم في كل مكان وينسون أباهم ههنا. هؤلاء صغار النفوس ولا يستأهلون لبنان. أحزن عندما اسمع إنساناً يتزلّف ولا يسمح لله وللصدق الذي من الله أن يسكن قلبه. لبنان وطننا. أرضه المباركة نعمة من الرب لنا لنسكن فيها ونتحاب. الإسمنت الوحيد القوي هو المحبة، أما الطائفية فعملة مزيّفة في مصارف من يتكلّمون عنها. من يتكلَّم عن الطائفية وخطرها هو الطائفي الأكبر. لبنان جميل وشعبه جميل وحيثما سكن الجمال فنِعْمَ البقاء ونِعْمَ الحياة.

بارك الله لبنان والمسؤولين الصادقين بمحبتهم له. بارك أبناء هذا البلد وغفر لهم خطاياهم لئلا تكون مميتة. غفر الله للذين يؤذون لبنان وبارك أولئك الذين يحافظون عليه مأوىً لنا ومسكناً ومآلاً. آمين.